مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: ترجمة مقال (اجندة تركيا الاوراسية(للؤلف ستيفن لارابي
اسم الكاتب: سميرة ابراهيم عبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6978
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 07:17 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

أجندة تركيا الأوراسية*

أف. ستيـفن لارابي**

سميرة ابراهيم عبد الرحمن (***)

برزت اوراسيا، في العقدين الاخيرين، بوصفها أهمية استراتيجية متنامية بالنسبة لتركيا . ان اهتمام وسائل ا لاعلام، تحركه السياسة الخارجية التركية في الشرق الأوسط، بالتقارب التركي مع ايران وسورية، وعلاقة تركيا الوطيدة مع حماس، والتوترات المتنامية في علاقة انقرة مع اسرائيل، قد أيقظ هواجساً لدى الكثير من العواصم الغربية ومنها واشنطن. وهذه الهواجس مؤداها ان تركيا تُعيد توجيه علاقاتها بعيداً عن الغرب باتجاه الشرق .[1] علاوة على ذلك، تسعى تركيا أيضاً من أجل مبادرات سياسة خارجية مهمة باتجاه اسيا الوسطى والقوقاز.

يمثل إنخراط تركيا في هذه المناطق تحولاً مهماً في السياسة الخارجية التركية. إذ تفادى مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس ال جمهورية التركية، بادراكٍ منه،

(*)المقال منشور على موقع مجلة الواشنطن كوارترلي على الانترنت:

Washington Quarterly, Winter 2011.

(*)يشغل أف . ستيـفن لارابي كرسياً مميزاً في الامن الأوروبي في مؤسسة راند . وهو مؤلف كتاب ((الشراكة المتعثرة : العلاقات الأميركية– التركية في عهد التغير الجيوبوليتكي العالمي)). أجرى البحث لهذا المقال حينما كان زميلاً زائراً في اكاديمية عبر الاطلسي (Transatlantic Academy) في المدة شباط – اذار ٢٠١٠.

(*) مركز الدراسات الدولية–جامعة بغداد.

[1] لمزيد من التفاصيل انظر:

F. Stephen Larrabee, ''Turkey's New Geopolitics,'' Survival 52, no. 2 (April—May 2010): pp. 157—180; and Ziya Meral and Jonathan Paris, ''Decoding Turkish Foreign Policy Hyperactivity,'' The Washington Quarterly 33, no. 4 (October 2010): pp. 75—86, http://www.twq.com/10october/docs/10oct_Meral_Paris.pdf.

المساعي الرامية الى تعزيز الارتباطات مع الأتراك والمسلمين فيما وراء حدود تركيا . وان الطبيعة المغلقة للنظام السياسي السوفيتي، وحساسية موسكو فيما يخص سيطرتها على القوميات غير الروسية، قد جعلت أي اتصالٍ باسيا الوسطى والقوقاز امراً عسيراً. بالنتيجة، وبعد قيام الجمهورية التركية في العام ١٩٢٣، كان لتركيا اتصالٌ ضئيلٌ بسكان تلك المناطق.

على أية حال، أوجد انهيار الاتحاد السوفيتي فرصاً جديدة – وتحديات جديدة – للسياسة التركية ما دام قد انفتح "العالم التركي" المغلق سابقاً . ورأى السياسيون الأتراك، لا سيما الرئيس سا بق تورغوت اوزال، في اسيا الوسطى مجالاً جديداً لتوسيع التأثير التركي وتعزيز أهمية تركيا الاستراتيجية للغرب . وجنباً الى جنب توسيع الروابط الى اسيا الوسطى، كان يُرى في الانفتاح على اسيا الوسطى والقوقاز على انه سبيلٌ لتعويض تركيا عما تلاقيه من صعوباتٍ مع اوروبا.

وتضّمن إنخراط تركيا في اوراسيا أيضاً تحسناً دراماتيكياً مع موسكو لا سيما في المجال الاقتصادي . إذ ان روسيا اليوم هي الشريك التجاري الأكبر لتركيا ومورديها بما يناهز ثلثي غازها الطبيعي [1]، ما دامت تبرز تركيا بوصفها طريق المرور الرئيس لنفط بحر قزوين وغازه . ولعل هدف انقرة هو ان تصبح مركز نقطة المرور الرئيسة بين مناطق انتاج النفط والغاز والأسواق الاوروبية . واذا ما نجحت هذه الاستراتيجية، يمكن ان تصبح تركيا نقطة وصل حساسة في ممر الطاقة الجنوبي* الذي يربط بين منطقة بحر قزوين واوروبا.

يثير الانخراط المتنامي لتركيا في اوراسيا قضايا مهمة امام السياسة الأميركية وعلاقات تركيا مع الغرب . ويدور التساؤل الرئيس حول الفاعلية الجديدة

---

[1] **Abdullah Gu¨l, ‘‘Russia has become Turkey`s biggest trade partner,’’ Today`s Zaman, February 11, 2009, http://www.todayszaman.com/tz-web/detaylar.do?load_detay&link_166571&bolum_109.**

*** يقضي مشروع ممر الطاقة الجنوبي بمد بضعة انابيب للغاز من بحر قزوين الى اوروبا . وتتضمن انابيب الغاز الجديدة المقترحة انبوب الغاز "إي تي جي آي" الذي سينقل الغاز من بحر قزوين الى ايطاليا عبر تركيا واليونان، وانبوب الغاز "تي آي بي" المار عبر البحر الادرياتيكي وانبوب نابكو .(المترجمة عن نقلاً موقع روسيا اليوم على الانترن ت في ٢٠١١/١/١٤).**

لانقرة في اوراسيا، هل ستكمل الجهود الرامية الى احلال الاستقرار في المنطقة ام تتنازع معها . وهل تمثل تقوية روابط تركيا م ع روسيا محاولة طبيعية لاستغلال المرونة الدبلوماسية الجديدة التي قدمتها نهاية الحرب الباردة؟ أو هل ان هذه الروابط هي جزء من استراتيجية إعادة اصطفاف جديدة للسياسة الخارجية التركية؟ كما تطرح مبادرات انقرة في اسيا الوسطى والقوقاز الجنوبي * هواجساً مشابهة: هل تعزز هذه المبادرات الجهود الغربية لدعم هذه البلدان واستقلالها في المنطقتين (اسيا الوسطى والقوقاز) كما يزعم المسؤولون الأتراك؟ أم انها جزءٌ من إعادة توجيه للسياسة الخارجية التركية يكون "مناهضاً للغرب" أوسع، كما راح يتهمها بعض النقّاد؟[1]

اسيا الوسطى: طموحات كُبرى، آمال مخيبة

لا بد من القول ان انفتاح تركيا على اسيا الوسطى والقوقاز قد بدأ قبل ان يتسلم حزب العدالة والتنمية الحاكم زمام السلطة في تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠٢. ففي السنوات الأولى القليلة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي راحت تركيا، في ظل القيادة النشطة للرئيس تورغوت اوزال، تبدأ حملة مُنظمة لتوسيع العلاقات مع دول اسيا الوسطى المستقلة حديثاً . إذ ما انفكت تفتتح تركيا مراكز ثقافية في جمهوريات اسيا الوسطى، وتضع برامج زمالات واسعة من أجل السماح لطلبة اسيا الوسطى بالدراسة في تركيا، وتوسع محطاتها التلفزيونية في مسعى منها لمد تأثيرها الثقافي الى اسيا الوسطى.

لاقت هذه الغزوات الأولية في اسيا الوسطى نتائج متفاوتة لأسبابٍ كثيرةٍ . اولاً، افتقرت تركيا الى الوسائل والموارد المالية لتؤدي دوراً اقتصادياً وسياسياً أساسياً في المنطقة. كما بالغت أنقرة في تقدير ما يعود عليها من منافع اقتصادية جراء

---

* القوقاز الجنوبي هو منطقة جغرافية سياسية، يقع على حدود أوروبا الشرقية وجنوب غرب آسيا . ومناطقه هي أرمينيا وأذربيجان وجورجيا. (المترجمة)

[1] انظر

Soner Cagaptay, ''Turkey moves away from Europe: Econo-Islamism takes charge in Ankara,'' Hu¨rriyet Daily News and Economic Review, December 16, 2009, http://www.hurriyetdailynews.com/n.php?n_turkey-moves-away-from-europe-econo-islamism-takescharge-in-ankara-2009-12-16.

تّدخلها في اسيا الوسطى. وباستثناء النفط والغاز، تُصدر دول اسيا الوسطى بضائع قليلة ذات فائدة كبيرة لتركيا. وبالنتيجة، كانت التجارة بقدرٍ كبير طريقاً ذا مسار واحد ولم تتوسع قط بالسرعة أو الأهمية التي كان يتوقعها المسؤولون الأتراك.

ثانياً، ان "النموذج التركي" مع تأكيده على الديمقراطية وإرساء قواعد اقتصاد سوق نابض بالحياة، لم يلاقِ حماسة كبيرة من لدن الحكام في اسيا الوسطى. إذ كان جُلّهم مستبداً من العهد السوفيتي يولي اهتمامه بالمحافظة على سلطته الشخصية أكثر من اهتمامه بتوسيع الديمقراطية السياسية. في العقد الماضي، كانت الانظمة في المنطقة، باستثناء قيرغيستان، تتسم عموماً بحكم سلطوي أكثر من انجذابها نحو الديمقراطية وتعددية سياسية أكبر . وراح هذا التيار يعزز الخطر المتنامي القادم من الجماعات المسلحة . الامر الذي حض الكثير من القادة في المنطقة على تشديد القبضة السياسية والاجتماعية.

ثالثاً، رام المسؤولون الأتراك في البدء تبني منهج الرعّاية، نوعاً ما، في العلاقات مع بلدان اسيا الوسطى، والعمل، في الاغلب، بوصف تركيا "الأخ الأكبر" الذي يعرف افضل. حري القول ان هذا المنهج لم يُناسب الكثير من المسؤولين في اسيا الوسطى. ولأنها خرجت للوجود حديثاً بعد سبعين عاماً من الهيمنة السوفيتية، فان نخب اسيا الوسطى لم ترد استبدال أخ كبير بآخر . وحري القول ان المسؤولين الأتراك دائما ما أظهروا فهماً بسيطاً للحقائق الاجتماعية والسياسية في بلدان اسيا الوسطى.

رابعاً، برهن التأثير الروسي في المنطقة على قوته ومتانته أكثر مما توقع الكثير من الأتراك. ففي ظل الرئيس بوريس يلتسن أخفقت روسيا في تطوير سياسة متماسكة إزاء اسيا الوسطى الامر الذي منح تركيا، نوعاً ما، الفرصة للقيام بغارات في المنطقة. ولكن، تغير هذا بعد العام ٢٠٠١ ، بعد ا ن راح يستغل الرئيس فلاديمير بوتين الصراع ضد الارهاب الدولي لتعزيز روابط روسيا مع اسيا الوسطى، ولإعادة تأكيد التأثير الروسي في المنطقة . كما تبقى اقتصاديات اسيا الوسطى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد الروسي لا سيما قطاع الطاقة. إذ تمر معظم خطوط

تصدير الطاقة عبر روسيا الامر الذي يجعل من بلدان اسيا الوسطى معتمدة بقدر كبير على موسكو لنقل مواردها من الطاقة . فضلاً عن ذلك، وعلى الصعيد الثقافي، يجري الآن روسنة نخب اسيا الوسطى بدرجة عالية . ولا تثريب في القول ان اللغة الروسية تبقى اليوم اللغة المشتركة بين قادة اسيا الوسطى في اللقاءات الاقليمية.

ولجميع الاسباب آنفة الذكر، وجدت تركيا عسرة في توسيع تأثيرها في اسيا الوسطى. وعلى الرغم من بقاء المنطقة لا سيما منطقة بحر قزوين منطقة مركزية مهمة للسياسة التركية، إلا ان الشعور الأولي بالنشوة الذي اتسم به حُكم اوزال قد تبدد منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي وحل محله منهجاً يكون أكثر اتزاناً وواقعية فيما يخص آفاق التأثير التركي في المنطقة.

في عين الوقت، حولت الأهمية المتنامية لقضايا الطاقة الخريطة الجيوبوليتكية لاسيا الوسطى (كازاخستان، وقيرغيستان، وطاجيكستان، وتركمنستان، واوزبكستان) والقوقاز (ارمينيا واذربيجان وجورجيا). وعلى الرغم من إمكانية ان تُعامل المنطقتان بوصفهما منطقتين منفصلتين، الا ان القادة والمسؤولين الأتراك، والمسؤولين حيثما كانوا، عدّوا دول بحر قزوين الساحلية – ومنها روسيا وايران بوصفها "منطقة بحر قزوين " واحدة. واليوم، أشار غاريث ونيثرو (Gareth Winthrow)، أحد أفضل محللي علاقات تركيا باسيا الوسطى، بان "اللعبة الكبرى" لا تُلعب الآن في اسيا الوسطى، كما جرى عليه الحال في القرن التاسع عشر– بل في منطقة بحر قزوين.[1] وبالنتيجة، ركزت تركيا، بدرجة واسعة، في السنوات الاخيرة، على تكثيف روابطها مع بلدان حوض بحر قزوين الغنية بالطاقة لا سيما تركمنستان واذربيجان وكازاخستان . في حين نالت قيرغيستان واوزبكستان وطاجيكستان، التي لديها موارد طاقة قليلة، اهتماماً أقل بكثير.

---

[1] أنظر

Gareth M. Winthrow, ''Turkish Policy Toward Central Asia and the Transcaucasus,'' in Alan Makovsky and Sabri Sayari, eds., Turkey's New World (Washington DC: The Washington Institute for Near East Policy, 2000), p. 116.

القوقاز الجنوبي: فاعلية اقليمية جديدة

على الرغم من فتور النشوة فيما يخص اسيا الوسطى منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي، الا ان سياسة تركيا في القوقاز الجنوبي شِهدت مؤخراً فاعلية وديناميةً جديدتين . فعلى الصعيد الثنائي، سعت تركيا لترميم الأسيجة مع ارمينيا . في حين راحت، على المستوى متعدد الأطراف، تطلق مبادرة اقليمية الا وهي "منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز"* الذي صُمم لتحقيق دعم أقليمي أكبر بين ارمينيا واذربيجان وجورجيا.

تحتاج كلا المبادرتين ان تُرى بوصفها من نتيجة من نتائج حرب الخمسة أيام بين روسيا وجورجيا في آب / أغسطس ٢٠٠٨، ذلك ان الحرب حطمت الواقع السياسي وهددت باطلاق ا لعنان لموجة جديدة من عدم الاستقرار الاقليمي الامر الذي يفاقم التوترات بين روسيا والغرب.

ورأت أنقرة في هذه التطورات انها مُضرة بمصلحة تركيا في دعم الاستقرار الاقليمي في القوقاز الجنوبي . وفي أعقاب حرب الخمسة ايام، أخذت تركيا على عاتقها القيام بمسعى دبلوماسي مكثف القصد من ورائه تحديد الاثار السياسية جراء الاجتياح، وتعزيز الاستقرار الاقليمي في القوقاز الجنوبي.

وقدحت الفاعلية الأقليمية المَزِيدة لتركيا شرارة مخاوف وهواجس مؤداها ان الولايات المتحدة تخسر الآن مصلحتها في القوقاز الجنوبي . فقد دعمت إدارة بوش بقوة سياسة الرئيس الجورجي ميخائيل ساكاشفيلي المؤيدة للغرب لا سيما مسعى جورجيا الانضمام لحلف الناتو . وعلى نهج اوكرانيا، كانت جورجيا الطفل المُدلل لحملة الإدارة لدعم عملية الديمقراطية في فضاء ما بعد السوفيتية . وعلى النقيض، كانت إدارة اوباما أكثر حذراً واحتراساً في اقترابها من جورجيا . وعلى الرغم من ان الباب مازال مفتوحاً لعضوية جورجيا في حلف الناتو على الصعيد الخطابي، الا ان عضوية اوكرانيا وجورجيا في الحلف عملياً كانت وما انفكت في مؤخرة القائمة وتخضع لمسعى إعادة ترتيب العلاقات مع موسكو.

*** طرحت تركيا إقامة "منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز " في أعقاب الحرب الروسية الجورجية في آب /أغسطس ٢٠٠٨ على خلفية الاجتياح الجورجي لأوسيتيا الجنوبية، في محاولة منها لجمع دول القوقاز وحل المشاكل القائمة بينها، وإعادة الأمن والاستقرار الى هذ ه المنطقة الحيوية والإستراتيجية بالنسبة لتركيا التي تحرص على تأمين استمرار تدفق إمدادات الطاقة من منطقة القوقاز واسيا الو سطى عبر أراضيها إلى أوروبا وبقية الأسواق العالمية. (المترجمة)**

ومن المفيد القول ان واشنطن ك انت مترددة بشأن بيع أسلحة جديدة لجورجيا لتعويض تلك التي دُمرت في حرب الخمسة ايام في آب/أغسطس ٢٠٠٨. وخشية ان تخسر الولايات المتحدة مصلحتها في القوقاز الجنوبي، غدت تركيا أكثر فاعلية دبلوماسياً، فراحت تدفع بمبادرات ثنائية ومتعددة الاطراف جديدة مثل منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز.

آمال مُضللة بشأن المصالحة التركية الارمنية

يمثل الاستعراض الأكثر أهمية للفاعلية التركية المزيدة والإنخراط في القوقاز الجنوبي في محاولة أنقرة تطبيع علاقاتها مع ارمينيا . وفي بحر المدة الحالية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، دأبت تركيا على تحسين علاقاتها مع ارمينيا . الا ان هذا المسعى توقف سريعاً على أثر الاجتياح والاحتلال الارميني في اوائل التسعينيات من القرن الماضي لناغورنو- كاراباخ التي فيها عدد كبير من السكان الارمن الا انها كانت جزءً من اذربيجان قانوناً . وفي محاولةٍ من تركيا لإظهار الدعم لاذربيجان – التي لديها مع تركيا روابط عرقية وثقافية – اغلقت أنقرة الحدود التركية الارمنية في العام ١٩١٣ وجعلت من تسوية نزاع ناغورنو – كاراباخ شرطاً مسبقاً لتحسين العلاقات التركية- الارمنية. وبالنتيجة، بقيت هذه العلاقات، أساساً، مُجمدة للعقد ونصف العقد اللاحقين.

لكن، كجزءٍ من مسعى أكبر لتحسين العلاقات مع جاراتها، باشرت حكومة حزب العدالة والتنمية في ظل رئيس الوزراء التركي رجب طيب اوردغان محاولة لتطبيع العلاقات مع ارمينيا في العام ٢٠٠٨. ومن الجدير بالذكر ان مبادرة انقرة تحركها عوامل كثيرة . إذ يؤمن المسؤولون الأتراك بان تطبيع العلاقات مع ارمينيا ربما يعزز الاستقرار في القوقاز الجنوبي، ذلك الاستقرار الذي انهار انهياراً سيئاً بعد حرب آب/أغسطس ٢٠٠٨ بين روسيا وجورجيا.[١] كما أملت حكومة اوردغان في ان أي تحسن في العلاقات التركية- الارمنية قد يقلل من الضغوط في الك ونغرس الأميركي لتمرير قرار ابادة الأرمن الذي يدين مقتل وترحيل ما يقارب ١.٥ مليون

[١] حول مزيدٍ من التفاصيل عن الحرب وأثارها الجيوبوليتكية الاوسع، أنظر
Ronald D. Asmus, A Little War that Shook the World: Georgia, Russia, and the Future of the West (New York: Palgrave Macmillan, 2010).

ارمني على يد السلطات العثمانية في العام ١٩١٥ والذي تم تقديمه كمشروع قانون في الكونغرس الأميركي في العام ٢٠١٠. أخيراً، شعر المسؤولون الأتراك بأن أي تطبيع للعلاقات مع أريفان* قد يحسن صورة تركيا في بروكسل ويعطي مفاوضات الانضمام للاتحاد الاوروبي زخماً جديداً.

لا ريب في ان الزيارة التاريخية للرئيس التركي عبد الله غول الى أريفان في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨ لحضور مباراة كرة قدم بين تركيا وأرمينيا – وهي الزيارة الأولى التي يقوم بها رئيس دولة تركي الى أرمينيا – كانت حداً فاصلاً في التقارب الناشئ بين تركيا وأرمينيا. وبدأت هذه الزيارة جولة من الدبلوماسية المكثفة تهدف الى تطبيع العلاقات الثنائية. وبلغت هذه الجهود الدبلوماسية المكثفة أوجها في زيورخ في العاشر من تشرين الأول / اكتوبر ٢٠٠٩، حينما وقعت تركيا وارمينيا بروتوكولين مشتركين حول إقامة علاقات دبلوماسية وتطوير علاقات ثنائية أوسع.

ولكن، نتج عن محاولة تطبيع العلاقات مع أرمينيا ضغوطاً خطيرة في علاقات تركيا مع اذربيجان. إذ خشيت باكو من ان تطبيع العلاقات التركية–الأرمينية قد يقلص رغبة أريفان في تقديم تنازلات بشأن ناغورنو– كاراباخ. وبات سريعاً التقارب الناشئ مع أرمينيا قضية حاسمة في السياسة التركية الداخلية ما دام سعت أحزاب المعارضة في تركيا لاستغلال سخط اذربيجان وذلك من خلال مهاجمة حكومة اوردغان "لخيانتها" حليف قريب.

ومن أجل الحيلولة دون حدوث قطع خطير للعلاقات مع اذربيجان، طمأن اوردغان باكو بان تطبيع العلاقات مع أرمينيا سوف لن يُنفذ ما لم يتم إحراز تقدم مسبق إزاء تسوية نزاع ناغورنو– كاراباخ.[1] في الواقع، أوجد هذا ربطاً دبلوماسياً

---

* عاصمة أرمينيا. (المترجمة)

[1] Emrullah Uslu, ''Ankara—Yerevan Rapprochement Strains Turkey's Relations with Azerbaijan,'' Eurasia Daily Monitor 6, no. 68 (April 9, 2009), http://www.jamestown.org/programs/edm/single/?tx_ttnews[tt_news]_34835&tx_ttnews[backPid]_27&cHash_9f2b7aae03;

وانظر أيضاً

Barc¸in Yinanc, ''Outreach to Armenia Prompts Azeri Threat,'' Hu¨rriyet Daily News and Economic Review, April 2, 2009.

واضحاً بين تطبيع العلاقات التركية – الارمينية وأي تسوية لنزاع نا غورنو–كاراباخ، ومن ثَّم الضمان فعلياً بان عملية التطبيع قد تخفق.[1]

من جانبها، رفضت ارمينيا رفضاً قاطعاً أي ربط رسمي بين تطبيع العلاقات مع تركيا وتسوية نزاع ناغورنو–كاراباخ مع اذربيجان، مؤكدة انهما قضيتان منفصلتان. وأتهم المسؤولون الارمن عدم إشارة البرتوكول ين الموقعين في زيورخ في العاشر من تشرين الأول /اكتوبر ٢٠٠٩ الى ناغورنو–كاراباخ. وعدَّت ارمينيا ربط تطبيع العلاقات مع تركيا بتسوية نزاع ناغورنو– كاراباخ بمثابة دلالة على ان تركيا كانت تتفاوض بسوء نية. بالنتيجة، توقفت عملية المصالحة التركية – الأرمنية، وبدأ سريعاً ينفرط عقدها. وحينما أخفق البرلمان التركي في المصادقة على البروتوكولين – وهو شرطٌ مسبقٌ لدخولهما حيز التنفيذ – أوقفت ارمينيا المشاركة في المحادثات مع تركيا نهاية نيسان/ابريل ٢٠١٠.

وفي استعادة للاحداث الماضية والتأمل فيها، يظهر ان تركيا أساءت تقدير الامور كثيراً مما أدى الى قطع مسعى تطبيع العلاقات مع أرمينيا . أولاً، أساءت حكومة اوردغان، بشكل خطير، تقدير رد الفعل الاذري وقدرته على تعبئة المعارضة التركية إزاء الانفتاح على ارمينيا. وتحت ضغط أحزاب المعارضة، أُجبرت الحكومة التركية على الربط رسمياً بين عملي ة التطبيع وتسوية نزاع ناغورنو– كاراباخ. وجاء سوء التقدير هذا ليحكم على المبادرة بالاخفاق، ما دام انه كان واضحاً منذ البدء ان ارمينيا لا تقبل أي ربط بين القضيتين.

ثانياً، أساءت أنقرة تقدير قدرة الشتات الارمني* (Armenian Diaspora) على تعبئة المعارضة الداخلية في ارمينيا إزاء تطبيع العلاقات التركية الارمنية .[2]

---

[1] **Semih Idiz, ''The Turkish—Armenian Debacle,'' Insight Turkey 12, no. 2 (Spring 2010):p. 13.**

*** هو الوجود الأرمني خارج أرمينيا (فقط خُمس الشعب الأرمني يعيش على أراضي جمهورية أرمينيا)، ومنه الوجود الأرمني في العالم العربي. ويقدّر عدد الأرمن في أرمينيا بثلاثة ملايين و ٦ – ٨ ملايين خارج أرمينيا (أكبر التجمعات الأرمنية في روسيا، والولايات المتحدة، وفرنسا، وتركيا، ولبنان، وسوريا)، أي في الشتات. (المترجمة)**

[2] **حول جهود الشتات الأرمني لاضعاف التقارب مع أنقرة، أنظر**

Idiz, ''The Turkish—Armenian Debacle.''

وعلى الرغم من عدم تطابق اهداف الحكومة الأرمنية في أريـ ڤان تطابقاً كاملاً مع اهداف الشتات الا ان الحكومة الأرمنية تعتمد بقوة على الدعم السياسي والمالي المقدم من الشتات بسبب وضع الحكومة الاقتصادي الباعث على اليأس والانعزال السياسي الذي تعيشه. يعطي هذا للشتات تأثيراً كبيراً على السياسة الأرمنية الداخلية والخارجية.

ثالثاً، يبدو ان القادة الأتراك اعتقدوا ان علاقات تركيا الطيبة مع روسيا قد تحض نوعاً ما الكرملن على ممارسة ضغوط على ارمينيا لتقديم تنازلات بشأن ناغورنو – كاراباخ. ولكن، على الرغم من عدم معارضة موسكو، بشكل فاعل، تطبيع العلاقات التركية الأرمنية الا انها لم تكن مستعدة لممارسة ضغط على ارمينيا لتقديم تنازلات لحل نزاع ناغورنو– كاراباخ. وحسبت موسكو ان افضل ما يخدم مصالحها هو في إبقاء النزاع دون حل، وبذلك تضمن ان تبقى ارمينيا معتمدة على روسيا فيما يخص امنها . كما ان الامر قد مكن الكرملن من استغلال الاستياء الاذري جراء دعم تركيا (والولايات المتحدة) لتطبيع العلاقات التركية – الأرمنية لتثير اذربيجان ضد تركيا والولايات المتحدة.

بالنتيجة، انتهت بالإخفاق ما بدت حينها مبادرة واعدة يمكن ان تفضي الى تقدم مهم في العلاقات التركية – الأرمنية. ويبدو ان عملية التطبيع لا روح فيها، على الاقل، في الأمد القصير . بيد ان عدم الثقة قد ازدادت لا سيما على الجانب الأرمني. إذ يرى الأرمنيون في مسعى تركيا ربط تطبيع العلاقات مع تسوية نزاع ناغورنو–كاراباخ على انه دليلٌ على عدم اخلاص وحيلة مقصودة لتقويض عملية التطبيع. ومن ثَّم، انخفض كثيراً الدعم الداخلي الأرمني للتقارب مع أنقرة الذي لم يكن قوياً قط.

علاوة على ذلك، تعززت العلاقات العسكرية الأرمنية–الروسية. إذ تم خلال زيارة الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف الى أريـ ڤان في آب /اغسطس ٢٠١٠ توقيع روسيا وأرمينيا اتفاقية تمديد استئجار القاعدة العسكرية الروسية في جيومري لأربعٍ

وعشرين عاماً إضافياً. وتضم الاتفاقية أيضاً فقرة تُلزِم روسيا في ضمان وحدة اراضي ارمينيا كلها وليس الحدود مع ايران وتركيا فحسب كما كان الحال عليه سابقاً.[1]

كان للاتفاق العسكري الأرميني– الروسي ثلاثة آثار مهمة . أولاً، يُزيد من الاعتماد العسكري والسياسي الأرميني على روسيا . ثانياً، يمثل تحذيراً غير مباشر لباكو مفاده ان موسكو سوف لن تتسامح بأي محاولة يقوم بها الجيش الاذري لحل نزاع ناغورنو–كاراباخ بالطرق العسكرية. ثالثاً، يعزز دور روسيا بوصفها وسيط القوة الحقيقي في المنطقة، ويؤكد على ان أية محاولات مهمة لتغيير الوضع الجيوبولتيكي الراهن في القوقاز الجنوبي سيحتاج الى مباركة موسكو اذا ما أُريد لها النجاح.

البُعد المتعدد الجوانب

كان تحرك تركيا لتطبيع علاقاتها مع أرمينيا جزءً من مسعى أوسع تضطلع به أنقرة لتعزيز السلام والاستقرار في القوقاز على مستوى أقليمي . وكانت مبادرة حكومة أوردغان المتمثلة في منتدى الاستقرار والتعاون في القوقاز قي قلب هذا المسعى. ولأن المبادرة انطلقت مباشرة في اعقاب الاجتياح الروسي لجورجيا، يكون المنتدى قد صمم لتعزيز التعاون الاقليمي بين روسيا وتركيا وجورجيا واذربيجان وارمينيا.

على أية حال، يبدو ان المبادرة قد وضعت على عُجالة فاثمرت جهداً قليلاً للتنسيق مع الحلفاء الغربيين الرئيسين . ولا بد من الاشارة الى ان المنتدى هو تجديدٌ لمقترح مشابه قدمه الرئيس التركي السابق سليمان ديميريل قبل بضع سنين . علاوة على ذلك، ان خطة أوردغان فيها عددٌ من نقاط الضعف والوهن . اولاً، على عكس مقترح ديميرل، لم تشمل مبادرة اوردغان الولايات المتحدة أو الاتحاد الاوروبي وهما لاعبان مهمان في القوقاز . وفي الواقع، يبدو انه لم تتم استشارة لا الولايات المتحدة

[1] **Semih Idiz, ''More bad news for Baku,'' Hu¨rriyet Daily News and Economic Review, August 30, 2010, http://www.hurriyetdailynews.com/n.php?n_more-bad-news-for-baku-2010-08-30.**

ولا الاتحاد الاوروبي قبل إطلاق المبادرة وان دعمهما لها كان فاتراً في أفضل الاحوال.

ثانياً، يطرح النزاع الاقليمي الذي لم يوجد له حل بين اذربيجان وأرمينيا حول ناغورنو–كاراباخ، عائقاً مهماً للخطة . وحتى لو كان ثمة تقدم مهم باتجاه حل هذه القضية، فان من غير المرجح ان تُظهر اذربيجان الكثير من الاهتمام في التعاون مع أرمينيا . ثالثاً، لأنها عانت من غزو عسكري روسي، فان لدى جورجيا القليل من الاهتمام في الانضمام لمشروع اقليمي يمكن ان يعزز التدخل الاقتصادي والسياسي الروسي في القوقاز.

ويطرح الاعتراف الروسي باستقلال اقليميّ ابخازيا واوسيتيا الجنوبية المنفصلة عن جورجيا العقبة المهمة الرابعة والاخيرة . يؤشر الفعل الروسي سابقة للعملية الانفصالية تكون قلة من بلدان المنطقة راغبة في شرعنتها . ويكون هذا الامر صحيحاً لا سيما لتركيا ما دام يشجع الاعتراف باستقلال ابخازيا واوسيتيا الجنوبية العملية الانفصالية بين الكرد في تركيا و يشرعنها . وما دامت تدفع موسكو باتجاه الاعتراف بابخازيا واوسيتيا الجنوبية، لا يرى الا عددٌ قليلٌ من اللاعبين الاقليميين الآخرين الكثير من الآفاق لتعزيز التعاون الاقليمي.

لهذه الاسباب الأربعة آنفة الذكر، أخفقت المبادرة في إثارة الكثير من الحماسة. ولكن، تأمل السلطات التركية ان المبادرة ربما تساعد على دعم تعاون أقليمي اكبر على المدى الطويل.

روسيا: هل هي شراكة إستراتيجية جديدة؟

من المفيد القول ان اسيا الوسطى والقوق از الجنوبي ليستا المنطقتين الوحيدتين في اوراسيا حيث انتهجت تركيا سياسة تكون أكثر فاعلية . إذ شهدت علاقات تركيا مع روسيا أيضاً تغيراً مهماً . تاريخياً، كانت تركيا وروسيا خصمين ومتنافسين على التأثير في اسيا الوسطى والقوقاز . طفا هذا العداء على السطح بعد الحرب الباردة حينما طالب ستالين بقاعدة على المضايق التركية، وأثار مزاعم بشأن ولايتي كارس واردهان اللتين تنازل عنهما الاتحاد السوفيتي السابق لتركيا في العام

١٩٢١. كانت هذه المطالب واحدة من الاسباب الرئيسة لقرار تركيا الاصطفاف مع الغرب والانضمام الى حلف الناتو في العام ١٩٥٢.

بيد انه في العقد الاخير تحسنت العلاقات التركية مع روسيا لا سيما في المجال الاقتصادي. فروسيا هي الشريك التجاري الأكبر لتركيا وسوق مهم لصناعة الانشاءات التركية بل ان العلاقة التجارية تكون غير متوازنة بقدر كبير لصالح كفة روسيا. ففي العام ٢٠٠٨، كان حجم التجارة ٣٨ مليار دولار إلا ان حجم الصادرات التركية لروسيا كان ٦،٩ مليار دولار فحسب. وهبطت التجارة في العام ٢٠٠٩ الى ٢٢ مليار دولار. مرد الامر الى الركود الاقتصادي العالمي بدرجة كبيرة .[1] كانت الطاقة مُحركاً مهماً للتعزيز الأخير للروابط بين أنقرة وموسك و من خلال ما تقوم به روسيا من إمداد تركيا بما يقرب من ٦٥% من وارداتها الاخيرة من الغاز الطبيعي و٢٥% من وارداتها من النفط الخام . وما برح الاستثمار الروسي في تركيا ينمو نمواً ملحوظاً في السنوات الاخيرة.

على الرغم من ان المشاركة في مشروع خط انابيب نابكو * المدعوم من الاتحاد الاوروبي ... والذي اذا ما تم تشييده فانه سيمتد من تركيا صعوداً عبر بلغاريا ورومانيا والمجر الى النمسا ... تكون في قمة أولويات تركيا، إلا ان تركيا كانت حذِرة في إبقاء الباب مفتوحاً امام التعاون مع روسيا . ففي تشرين الأول /

---

[1] **Amanda Paul, ''Turkey and Russia: not quite a strategic partnership,'' Today's Zaman, February 17, 2010, http://www.todayszaman.com/tz-web/columnists-201703-turkey-andrussia-not-quite-a-strategic-partnership.html.**

*** يهدف خط انابيب نابكو الذي يدعمه الاتحاد الاوروبي وتقدر كلفته بـ ٨ مليارات يورو (نحو ١١ مليار دولار)، إلى نقل غاز تركمنستان وإيران وأذربيجان ولاحقاً العراق وسوريا وقطر، وربما مصر وعمان والإمارات أيضاً، إلى أوروبا عبر أنب وب بطول ٣٣٠٠ كلم يمتد من شرق تركيا عبر مضيق مياه البوسفور إلى بلغاريا ثم رومانيا والمجر فالنمسا.**

واكد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أهمية المشروع، وقال عنه إنه عنصر مهم سيساهم في ضم تركيا للاتحاد الأوروبي، إذ ستتحول تركيا عبر هذا المشروع إلى بوابة أساسية للطاقة التي تحتاج لها أوروبا . يُفوِّت المشروع (نابكو) على روسيا فرص الضغط والتأثير على دول القوقاز واسيا الوسطى ذات الأصل التركي.

ومن المتوقع أن يبدأ تشغيل خط نابكو في عام ٢٠١٤ حيث سينقل ما يقارب واحد وثلاثين مليار متر مكعب من الغاز سنويا إلى أوروبا. (المترجمة)

أكتوبر ٢٠٠٩، منحت حكومة اوردغان شركة الطاقة الروسية غازبروم ** المختلطة الأذن للقيام بعمل استكشافي في منطقة البحر الاسود الاقتصادية التابعة لتركيا حصراً استعداداً لمد خط انابيب السيل الجنوبي *** في قاع البحر والذي يستهدف الكثير من نفس البلدان كما في خط انابيب نابكو . بالمقابل، وافقت روسيا على دعم بناء خط انابيب سامسون – جيهان* الذي يربط الطرف النفطي في ميناء سامسون التركي الواقع على شاطئ البحر الاسود العائد لتركيا مع الطرف في جيهان على شاطئ البحر الابيض المتوسط .[١] وسيقلص بناء خط الانابيب مرور الناقلات عبر البوسفور الامر الذي يقلل من توقعات وقوع حادثة يمكن ان تسبب ضرراً بيئياً بارزاً.

** تحتل شركة "غازبروم" أكبر مستخرج للغاز الطبيعي، مكانة متقدمة في لائحة أكبر خمسين شركة عالمية عاملة في مجال النفط والغاز. تتحكم الحكومة الروسية بنسبة ٥٠.٠٠٢ % من الأسهم في الشركة من خلال (Rosimushchestvo) و روزنفت غاز و (Rosgazifikatsiya). (المترجمة)

*** يُعَد خط انابيب الغاز "السيل الجنوبي" مشروعاً مشتركاً لشركة "غازبروم" الروسية وشركة "Eni" الايطالية، ثم انضمت اليه الشركتان "EdF" الفرنسية و" Wintershall" الألمانية . ويستهدف مد خط أنابيب الغاز هذا تحقيق توريد الغاز الروسي، وربما الغاز من آسيا الوسطى ايضاً، الى اوروبا عن طريق البحر الاسود. وبموجب هذا المشروع فان خط انابيب الغاز سيمر من روسيا الى بلغاريا في قاع البحر الاسود، ثم سيتفرع فوق اليابسة الى فرعين، سيمتد اولهما عبر صربيا والمجر والنمسا وسلوفينيا، ويمتد ثانيهما عبر اليونان الى جنوب ايطاليا. ومن الممكن ان تبلغ قدرة خط انابيب الغاز ٣٠ مليار متر مكعب من الغاز سنويا. ويتوقع انجاز المشروع في عامي ٢٠١٢-٢٠١٣.

وقال بوتين اثناء مؤتمر صحفي في صوفيا يوم السبت ١٣ تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠١٠ "اريد التشديد على الاهمية الكبرى لانبوب الغاز "السيل الجنوبي" الذي يملك مساحة تشمل كافة اوروبا . وقد انضمت شركات في دول اوروبية كبرى كفرنسا وايطاليا الى مشروع بنائه، كما لدينا عروض من شركائنا الآخرين في غرب اوروبا". ويُعَد خط انابيب الغاز "السيل الجنوبي" مشروعاً منافساً لمشروع "نابكو".

وقد وقعت روسيا اتفاقيات مع كل من بلغاريا وصربيا والمجر بصدد إنشاء ومد خط انابيب الغاز "السيل الجنوبي" في اراضيها. ستغدو المجر محطة يمكن ايصال الغاز منها الى اية نقطة في أوروبا من خلال البنية التحتية المتوفرة . وستكون ايطاليا من اهم مستهلكي الغاز الذي سيصل اليها من النمسا. (المترجمة نقلاً عن موقع روسيا اليوم)

* تبلغ الاستثمارات في بناء خط أنابيب النفط (سامسون– جيهان) الذي يربط ميناء سامسون التركي الواقع على شاطئ البحر الأسود، بجيهان على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ٣ مليارات دولار، وستشكل طاقته التمريرية نحو ٧٠ مليون طن سنوياً. (المترجمة)

[١] أنظر

Vladimir Socor, ''Samsun–Ceyhan Pipeline Project to Divert Kazakhstani Oil,''Eurasia Daily Monitor 6, no.195 (October 23, 2009),

http://www.jamestown.org/programs/edm/single/?tx_ttnews[tt_news]_35645&tx_ttnews[backPid]_485&no_cache_1.

نالت العلاقات مع موسكو دعماً مهماً خلال زيارة الرئيس الروسي ميدفيديف الى انقرة في ايار /مايو ٢٠١٠ أثمرت توقيع سبع عشرة اتفاقية . وفي اللقاء، جدد الطرفان التزامهما في الاستمرار بالتعاون حول خط انابي ب السيل الجنوبي. كما عبرت روسيا عن استعدادها لتقديم ثلاثة مليارات دولار لبناء خط انابيب سامسون – جيهان.[١] ووافق الطرفان ايضاً على دعم التجارة من مستواها الحالي (٤٠ مليار دولار في السنة) الى مئة مليار في السنوات الخمس القادمة.

كما أدت روسيا دوراً قائداً في تطوير القوة النووية لتركيا . إذ وقع الطرفان، خلال زيارة ميدفيديف، على اتفاقية مؤداها ان اتحاداً مالياً ترأسه شركة اتوم ستروي أكسبورت التي تسيطر عليها الدولة الروسية سوف يبني ويشغل مفاعلاً نووياً بقيمة عشرين مليار دولار وبطاقة ٤،٨ ميغا واط في المدينة السا حلية التركية، اكويو.[٢] وسيكون مفاعل اكويو المفاعل النووي الأول لتركيا *، وواحداً من أكبر المفاعلات في العالم . ولن تبني الشركة الروسية المفاعل فحسب بل وستكون لها السيطرة على ملكيته.

ورافق تكثيف العلاقات الاقتصادية في مجال الطاقة دفئ في العلاقات السياسية. ففي كانون الأول /ديسمبر ٢٠٠٤، اصبح بوتين أول رئيس دولة روسي يزور تركيا في بحر الاثنين والثلاثين عاماً الفائتة . وتوجت الزيارة باعلان مشترك

---

[١] انظر

''Turkish—Russian ties evolve into strategic partnership,'' Today's Zaman, May 13,2010, http://www.todayszaman.com/tz-web/news-210092-turkish-russian-ties-evolve-intostrategic-partnership.html.

[2] ''Russia, Turkey agree on nuclear power plant,'' Today's Zaman, May 10, 2010, http://www.todayszaman.com/tz-web/news-209783-russia-turkey-agree-on-nuclear-power-plant.html; also see Saban Kardas, ''Russia Will Construct Turkey's First Nuclear Power Plant,'' Eurasia Daily Monitor 7, no.98 (May 20, 2010), http://www.jamestown.org/single/?no_cache_1&tx_ttnews[tt_news]_36401.

* تؤكد السلطات التركية انها ترغب في اقامة ثلاثة مفاعلات نووية لتلافي نقص محتمل في الطاقة والحد من تبعيتها للخارج في مجال الطاقة. وكانت تركيا تخلت في العام ٢٠٠٠ عن مشروع اقامة مفاعل نووي في الموقع ذاته وهو اكويو في محافظة مرسين على البحر المتوسط، بسبب صعوبات في التمويل . (المترجمة نقلاً عن موقع جريدة الاتحاد وهي الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستاني على الانترنت)

بشأن " تعميق الصداقة والشراكة متعددة الأبعاد " التي تُشير الى مدى واسع من المصالح المشتركة، والى ثقة وايمان متبادلين والت ي تطورت في السنوات الاخيرة . ومنذ ذلك الحين، ازدادت زيادة ملحوظة الاتصالات السياسية رفيعة المستوى بين أنقرة وموسكو.

ولا مناص من القول ان تركيا وروسيا تتشاطران مناهج متشابهة بشأن مسألة التعاون البحري في البحر الاسود . فعلى الرغم من ان تركيا عضوٌ في حلف الناتو، الا انها تعارض، حالها حال روسيا، توسع كل من حلف الناتو والوجود العسكري الأميركي في البحر الاسود . ففي العام ٢٠٠٦، اعترضت تركيا سبيل مبادرة اميركية مصممة لزيادة دور عملية المسعى الفعال * التابعة لحلف الناتو في المنطقة.[1] وكان الدافع وراء معارضة تركيا في جزءٍ منه حقيقة مفادها ان مبادرة حلف الناتو تتعارض مع عملية انسجام البحر الاسود – وهي مبادرة أطلقتها البحرية التركية في اذار /مارس ٢٠٠٤ موضوعة لتعزيز التعاون البحري في منطقة البحر الاسود. كما كانت تركيا قلقة من ان التواجد العسكري المَزِيد لأميركا أو حلف الناتو قد يفاقم التوترات مع روسيا، وعوضاً عن تزايد الوجود العسكري الأميركي او تواجد حلف الناتو، تتبنى تركيا "مجموعة البحر الأسود العسكرية للتعاون الحربي " (بلاكسيفور)** وهي مهمة حربية متعددة الجوانب تشمل تركيا وروسيا وجورجيا وبلغاريا ورومانيا.

لا مراء في ان هذه الروابط بين أنقرة وموسكو في بحر العقد المنصرم لا سيما في المجال الاقتصادي قد جعلت تركيا أشد حساسية إزاء الهموم الروسية في

---

* هي عمليات مراقبة واستطلاع بحرية يقوم بها حلف الناتو . صُممت لمكافحة الإرهاب بعد هجمات الحادي عشر من ايلول/سبتمبر ٢٠٠١، تهدف إلى رفع مستوى الأمن البحري في البحر الأبيض المتوسط . (المترجمة نقلاً عن موقع مجلة حلف الناتو على الانترنت، عدد الخريف ٢٠٠٦)

[1] U ¨ mit Enginsoy and Burak Ege Bekdil, ''Turks Oppose U.S. Black Sea Move,'' Defense News, March 13, 2006.

** أحد أهم الأسباب التي ساهمت في التعتيم على منظمة "مجموعة البحر الأسود العسكرية للتعاون الحربي " (بلاكسيفور) التي كادت تُنسى وسط التغيرات المتلاحقة على الخريطة الجيوبوليتكية في العالم طوال السنوات السابقة هو الخلافات الكثيرة بين روسيا والكثير من الدول الأعضاء من جهة، وبين الدول الأعضاء وبعضها البعض من جهة أخرى. (المترجمة)

القوقاز الجنوبي واسيا الوسطى . بيد ان أي اصطفاف استراتيجي جاد بعيداً عن الغرب باتجاه روسيا لا يكون مطروحاً على بساط الأرجحية لأسباب كثيرة . أولاً، تتعارض الأهداف والمطامح التركية في عدد من المجالات لا سيما في القوقاز (وهي منطقة لتركيا فيها مصالح استراتيجية عميقة وقديمة). علاوة على ان تركيا تعتمد على المعدات العسكرية الغربية من أجل دفاعها . إذ ان قوتها الجوية مؤلفة برمتها في الاغلب من الطائرات الأميركية. عليه، فان التحول الى اسلحة روسية الصنع يكون أمراً عسيراً ويقلل من قدرة تركيا على العمل بصورة فاعلة مع حلفائها في الناتو.

أخيراً، قد يتصادم إعادة اصطفاف تركيا باتجاه روسيا مع الالتزام بالتغريب الذي كان وما زال حجر الأساس في السياسة التركية منذ تأسيس الجمهورية التركية على يد أتاتورك في العام ١٩٢٣. ولعل مثل هذا الانتقال الجذري بعيداً عن المبادئ الاساسية للكمالية يكون لعنة على اغلبية الأتراك وفوق كل ذلك على الجيش التركي الذي يرى نفسه بوصفه الحارس على ميراث أتاتورك.

على الرغم من ان أي نقضٍ خطيرٍ للتحالفات لا يكون أمراً محتملاً، فان التحسن في علاقات تركيا مع روسيا من المرجح ان يجعل تركيا حذرة بشأن اتخاذ خطوات قد تعرض هذه العلاقات للخطر . إذ كانت تركيا يقظة، على سبيل المثال، بشأن خطط الناتو لنشر نظام الدفاع الصاروخي في اوروبا لا للتأثير السلبي لنشر مثل هكذا منظومة على علاقاتها مع ايران فحسب، بل ولتأثيرها المحتمل على العلاقات مع موسكو. في الواقع، قد يصبح الدفاع الصاروخي مصدراً للتوتر المتزايد بين انقرة وحلفائها في حلف الناتو لا سيما الولايات المتحدة.

بُعد الطاقة

يكون الإنخراط المتنامي لتركيا في القوقاز ومنطقة بحر قزوين متأثراً تأثراً كبيراً بهموم الطاقة. اذ تؤدي تركيا دوراً مهماً اهمية متزايدة في نقل امدادات النفط الى اوروبا من روسيا ومنطقة بحر قزوين الشرق الأوسط. ويكون خط انابيب باكو–

تفليسي – جيهان* الذي أكتمل في العام ٢٠٠٦ طريق التصدير الرئيس الوحيد الى نفط بحر قزوين الذي لا يمر عبر الاراضي الروسية ويتجاوز مضيق البوسفور . كما تدعم تركيا بناء خط انابيب سامسون– جيهان الذي سيقلص المرور عبر البوسفور.

غني عن القول ان تركيا الآن تغدو ممراً مهماً اهمية متزايدة لنقل غاز بحر قزوين الى اوروبا . ومع اكتمال خط الا نابيب الرابط بين تركيا واليونان في العام ٢٠٠٧، خطت تركيا خطوة كبيرة باتجاه تحقيق هدفها في ان تصبح جسراً للطاقة من خلال نقل الغاز من منطقة بحر قزوين الى اوروبا . لقد وضِعت تركيا في موقعٍ يؤهلها لتأدية دورٍ أكبر متمثلاً في ربط المنتجين في منطقة بحر قزوين والش رق الأوسط بالمستهلكين في اوروبا من خلال بناء خط انابيب نابكو المخطط له والذي سينقل غاز منطقة بحر قزوين الى اوروبا عن طريق خط انابيب يمر من تركيا صعوداً عبر بلغاريا ورومانيا والمجر والنمسا . وفي تموز/يوليو ٢٠٠٩، وقعت هذه البلدان الاربعة مع تركيا اتفاقية مرور بين الحكومات، التي من المتوقع ان تعطي زخماً جديداً لنابكو وتعزز مصداقيتها مع المجهزين.

واذا ما تم بناء خط الانابيب (نابكو)، فانه سيجعل من تركيا المحرك الاساس في مسعى اوروبا لتحقيق استقلال الطاقة . بيد ان نابكو يواجه عدداً من المعوقات التي تثير تساؤلات جادة عن مدى قابليته للتطبيق . اذ تكمن المشكلة الأكثر جدية في إيجاد غازٍ كافٍ لجعل خط الانابيب قابلاً للتطبيق تجارياً . حتى اليوم، فان اذربيجان هي البلد الوحيد الملتزم بتزويد خط الانابيب بالغاز . الا ان باكو يمكنها تزويده بجزءٍ فحسب من قدرته (نابكو) وهو ما يناهز ثم انية مليارات متر مكعب. وبغية ان يصبح نابكو قابلاً للتطبيق تجارياً، فانه يحتاج ان يجد مجهزين

*** ينقل خط انابيب باكو– تفليسي – جيهان المعروف اختصاراً بـ (BTC) النفط الخام لمسافة ١,٧٧٦ كم من حقل نفط چيراگ–گونشلي الأذربيجاني في بحر القزوين إلى البحر المتوسط. طول الخط داخل أذربيجان ٤٤٠ كم، وفي جورجيا ٢٦٠ كم، وفي تركيا ١٠٧٦ كم. هناك ثماني محطات ضخ على طول الخط. ويمر خط الأنابيب بباكو، عاصمة أذربيجان؛ تفليس، عاصمة جورجيا؛ وجيهان، الميناء التركي على البحر المتوسط، ومن هنا أتت التسمية . وهو ثاني أطول خط أنابيب في العالم (بعد خط أنابيب دروجبا من روسيا إلى وسط أوروبا). أول ضخ للنفط فيه كان من باكو في ١٠ ايار/مايو ٢٠٠٥ والذي وصل جيهان في ٢٨ ايار/مايو ٢٠٠٦. (المترجمة نقلاً عن موقع موسوعة المعرفة على الانترنت)**

آخرين يساهمون في قدرته على النقل البالغة ٣١ مليار متر مكعب . ويبرز ثلاثة مجهزين محتملين، لكل منهم مشاكله واضحة المعالم.

اذ عرض العراق ان يزود خط الانابيب (نابكو) بخمسة عشر مليار متر مكعب من الغاز – أي ما يقارب نصف الغاز المطلوب للقدرة الكاملة . ولكن يتساءل الكثير من خبراء الطاقة عن مدى أمكانية عّد العراق مجهزاً يمكن الوثوق به نظراً للنزاعات مع حكومة اقليم كردستان حول المشاركة في عوائد الطاقة ومواردها . فاذا ما تم تصعيد التوترات بين حكومة اقليم كردستان والحكومة المركزية في بغداد، فان الحكومة العراقية قد تجد صعوبة في الوفاء بعرضها.

وعرضت تركمنستان ان تشحن بعضاً من غازها عن طريق نابكو ولكنها ايضاً بعيدة عن ان تكون مجهزاً يمكن الاعتماد عليه . ففي السنوات الاخيرة، سعت تركمنستان، بوعي منها، لتنويع خياراتها في التصدير . ولكن، استراتيجيتها في التصدير اظهرت تفضيلاً واضحاً للتعامل مع الصين في حين ابدت اهتماماً قليلاً في شركات مرتبطة بنابكو .[1] ولتركمنستان أيضاً التزامات تصدير مهمة الى روسيا التي كانت مؤخراً زبونها الأهم . وعليه، يكون واضحاً، على الاطلاق، ان نابكو لا يمكن ان تعول على استلام كميات مهمة من غاز تركمنستان.

ايران هي المورد المحتمل الثالث بـ ٢٩،٦١ تريليون متر مكعب من احتياطي الغاز الذي يمكن الوصول له، أو بنسبة ١٦% من الاحتياطي الثابث للعالم. ولكن، يُستخدم معظم غاز البلد حالياً للاستهلاك المحلي تاركة القليل جداً للتصدير. وما لم تستطع ايران تأمين المساعدة الخارجية لتطوير حقول بارس الجنوبية* فان لا غاز لديها لتورده لنابكو او أي خط انابيب اخر . وما دامت تبقى

[1] **Bruce Pannier, ''Turkmenistan Tips its Hand on Future Energy Exports,'' Radio Free Europe/Radio Liberty, August 22, 2010,**
http://www.rferl.org/content/Turkmenistan_Tips_Its_Hand_On_Future_Energy_Exports/2134389.html.

*** يُعد حقل بارس الجنوبي من أهم حقول الغاز الطبيعي في ايران. وقد بيّنت الدراسات الأخيرة ان هذا الحقل يحتوي على ٢٨٠ تريليون فوتاً مكعباً من الغاز الطبيعي. هذا في الوقت الذي تحدثت فيه بعض الاحصائيات عن وجود احتياطي من الغاز الطبيعي يصل ٥٠٠ تريليون فوتاً مكعباً من الغاز الطبيعي ، وفي الوقت الراهن يعد استثمار وتطوير هذا الحقل من**

القضية النووية مع ايران دون حل، فان الفرص تكون ضعيفة بخصوص إمكانية تطوير حقول الهيدروكاربون . عليه، لا يبدو ان ايران خيار قابل للتطبيق بالنسبة لنابكو في المستقبل القريب.

يطرح شأن ايجاد التمويل لنابكو مشكلة اخرى . اذ وافقت المفوضية الاوروبية في اذار /مارس٢٠١٠ على تخصيص ٢٠٠مليون يورو (٢٧٣مليون دولار) لتمويل بنائه.[1] وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقدم فيها المفوضية المال لمرحلة بناء خط انابيب غاز . على اية حال، يكون مبلغ المئتي مليون يورو جزءاً صغيراً فحسب من مبلغ الثمانية مليارات المقدرة لبناء خط الانابيب . ويجادل قادة الاتحاد الاوروبي الرئيسيون مثل المستشارة الالمانية انجيلا ميركل بوجوب تمويل المشروع من قبل الشركات الخاصة وليس الحكومات او الاتحاد الاوروبي.

كما ساهمت افعال تركيا وسياستها في طرح معوقات امام مشروع نابكو من خلال سعي انقرة لاستخدام قضية المرور بوصفها ثقلاً في علا قاتها الواسعة مع الاتحاد الاوروبي. علاوة على ذلك فان الخلافات بين تركيا واذربيجان حول شروط المرور لنقل الغاز الاذري عبر الاراضي التركية الى الاسواق الاوروبية قد اعاقت، هي الاخرى، التقدم في مشروع نابكو . وطالت المفاوضات لاكثر من ثمانية عشرة

اهم المشاريع المرتبطة في الطاقة في ايران ، وقد جذب هذا المشروع رساميلاً بلغت قيمتها الاجمالية حتى الآن مايقارب ال ١٥ مليارد دولار .

ويتوقع ان يصل انتاج الغاز الطبيعي في هذا الحقل من مراحله ١ الى ١٤ حتى عام ٢٠٠٥ الى ٢١٨ برميلاً من الغاز حتى عام ٢٠١٥ الى ٦٢٨ الف برميلاً يومياً(احصائيات شركة فكنز).

واستناداً الى تقارير شركة النفط الإيرانية ان مبيعات غاز حقل بارس الجنوبي ستدر ارباحاً على ايران، ستصل خلال الثلاثين سنة القادمة الى مايقارب ١١ مليار دولار سنوياً، وان العقبة الوحيدة التي تواجه ايران في هذا المجال هي المنافسة من قبل البلدان الاخرى، إذ تحتكر دول مثل عمان، وقطر، ودولة الامارات العربية المتحدة اسواق الشرق الأوسط لنفسها دون سواها. (المترجمة نقلاً عن جابر احمد، الحوار المتمدن، العدد ٩٤٩ في ٢٠٠٤/٩/٧)

[1] . James Kanter, ''Europe Offers $273 Million in Aid for a Gas Pipeline from Turkey to Austria,'' New York Times, March 5, 2010, http://www.nytimes.com/2010/03/05/business/global/05energy.html?_r_1.

شهراً قبل ان تتم التسوية نهائياً في حزيران /يوليو ٢٠١٠.[1] ازاحت اتفاقية حزيران عائقاً مهماً للمضي قدماً في عملية البناء التي تبدأ في اوائل العام ٢٠١١.

من المفيد القول ان الغاز الاذري مهمٌ للبدء بالمرحلة الأولية من نابكو . ولكن التأخر في اطلاق عملية البناء قد اصابت الاذريون بالاحباط فراحوا يكثفون الجهود لفتح منافذ اخرى لتصدير الغاز . ففي تشرين الاول /اكتوبر ٢٠٠٩، وقعت شركة النفط الاذرية العائدة ملكيتها للدولة اتفاقية مع شركة غازبروم لبيع ٥٠٠ مليون متر مكعب من الغاز الاذري سنوياً لروسيا لخمس سنوات، بدءً من العام ٢٠١٠ لاغراض الاستهلاك المحلي الروسي. وعلى الرغم من صغر كمية الغاز التي ستُباع لروسيا، فان الاتفاق مع شركة غازبروم يكون اشارة تذكير حادة بان اذربيجان لديها خيارات اخرى اذا ما تأخر طويلاً بناء نابكو.

لا بد من الاشارة ان عرض روسيا لبناء خط انابيب السيل الجنوبي يكون عائقاً اخر. اذ قد يربط خط الانابيب هذا بين ساحل البحر الاسود التابع لروسيا مع بلغاريا ومن ثم ينفصل الى خطي انابيب تمدان جنوب اوروبا ووسطها بالغاز . وربما يزود السيل الجنوبي الاسواق نفسها التي يستهدفها نابكو . وثمة تساؤلات جادة عن الاستثمار في اعلى السيل في روسيا و عن توافر الغاز للسيل الجنوبي، كذلك تكلفة بناء خط الانابيب . وتشير بعض التقديرات الى ان تكلفة البناء تكون مرتفعة تتراوح ما بين ١٩ و٢٤ مليار يورو– أي ثلاثة اضعاف تكلفة نابكو تقريباً.

ويزعم المسؤولون الأتراك بان الخطين (نابكو والسيل الجنوبي) يُكّمل أحدهما الاخر بدلاً عن ان يكونا متنافسين . ولكن يستهدف كلا الخطين الاسواق ذاتها. ويجادل الكثير من محللي الطاقة انه من غير الواقعي توقع ان تقدم مؤسسات مالية دولية ٣٠–٣٥ مليار يورو للخطين اللذين يستهدفا الاسواق عينها لا سيما في

[1] ‘‘**Turkey, Azerbaijan pen three strategic deals on Caspian gas,’’ Today’s Zaman, June 8, 2010,**
http://www.todayszaman.com/tz-web/news-212419-106-turkey-azerbaijan-pen-threestrategic-deals-on-caspian-gas.html.

وقتٍ فيه تخمة غاز وتوقع ان ينخفض الاستهلاك الاوروبي في السنوات القليلة القادمة.[1]

التداعيات على السياسة الأميركية

ماذا يعني كل ذلك للسياسة الأميركية؟ هل يعني الانخراط التركي المتزايد في اوراسيا ان انقرة تتحرك في اتجاه معادٍ للغرب ام ان الأسلمة تصبح سمة سياستها مثلما يذهب الى ذلك بعض النُقّاد؟ وهل ا ن الفاعلية التركية في اوراسيا مكملة للاهداف الأميركية ام متعارضة معها؟ وهل بالمستطاع ان تتناغم اهداف السياسة الأميركية مع نظيرتها التركية على نحو افضل؟

تكمن نقطة البدء للأجابة عن هذه التساؤلات في فهم التيارات والقوى الأوسع المُحركة للسياسة الخارجية التركية. اذ ان الفاعلية الجديدة لتركيا في اوراسيا واي مكان آخر هي رد فعل على تغيرات اوسع في البيئة الامنية لتركيا منذ بداية الحرب الباردة. فقد قلص اختفاء التهديد السوفيتي من اعتماد تركيا على الولايات المتحدة من أجل تحقيق امنها . في الوقت عينه، فتح انهيار الاتحاد السوفيتي آفاق فرص جديدة في مناطق كانت لا ملامح لها في السياسة التركية أو مهملة من قبلها لا سيما الشرق الأوسط واوراسيا . عليه، ما برحت تركيا تستغل هذه المرونة الجديدة لتوسيع سياستها الخارجية وتنويعها.

ومن جانب اخر، لا يعني هذا ان تركيا تدير ظهرها للغرب . فما انفكت تريد تركيا روابط أمنية ودفاعية قوية مع الغرب لا سيما الولايات المتحدة . الا ان شروط الانخراط قد تغيرت . اذ لم تعد انقرة النابضة بالنشاط اقتصادياً والمفعمة ثقة بالنفس سياسياً راضيةً عن لعب دور شريك صغير حينما تتعارض السياسة الأميركية مع مصالحها الاقليمية والقومية. لقد ولت الى غير ذي رجعة الايام التي كان يمكن فيها لمسؤولين اميركان الطيران الى أنقرة ورؤية جنرالين والقيام بزيارة مجاملة لوزيرٍ

[1] انظر

''An unconventional glut,'' The Economist, March 11, 2010, http://www.economist.com/node/15661889.

ما لحل قضايا. لا مراء في ان ديمقرطة السياسة التركية في العقود الكثيرة الماضية قد غيرت ديناميات عملية صنع السياسة التركية الامر الذي افضى الى تقليص تأثير الجيش في السياسة التركية . وعلى الرغم من بقاء الجيش مؤثراً الا انه لا يمتلك النفوذ السياسي الذي كان يتمتع به قبل عقدٍ من الزمان مضى، وانه يخضع الآن الى سيطرة مدنية أقوى. اليوم، ثمة نقاش سياسة خارجية نابض بالحياة ومُسْهِب، مع تنوع للاعبين المناضلين من أجل التأثير فيه . جعل هذا السياسة الخارجية أكثر عسرة على نخبة الكمالية التقليدية في التحكم بزمام الامور، وجعل أيضاً عملية إدارة العلاقات الأميركية– التركية أكثر صعوبة.

في اوراسيا، تتداخل المصالح الأميركية والتركية تداخلاً و اسعاً أو تتطابق الى حدٍ بعيد. إذ ان المسعى التركي لتصبح مفترق طريق لنقل طاقة البحر الاسود الى اوروبا، على سبيل المثال، يصب كثيراً في مصلحة الولايات المتحدة . ولعله يقلص اعتماد اوروبا على الطاقة الروسية لاسيما الغاز .. وهو تحركٌ شجعته الولايات المتحدة بقوة.[1]

من جهة أخرى، تحتمل العلاقات المتنامية بين تركيا وروسيا بخصوص الطاقة مراقبةً عن كثب . إذ تستورد اليوم تركيا ما يقارب ثلثي غازها الطبيعي من موسكو. لا يعني هذا الاعتماد الكبير على الغاز الروسي ان تركيا من المحتمل ان تغادر الناتو أو تشكل تحالفاً إستراتيجياً جديداً مع موسكو. الا انه يؤثر على الكيفية التي تحسب فيها الولايات المتحدة مصالحها . فقد يجعل من تركيا راغبة أكثر في التكيف مع السياسة الروسية حول قضايا بعينها – مثلما يُظهر رد فعل تركيا الخنوع على اجتياح موسكو لجورجيا في آب / اغسطس ٢٠٠٨ – ويجعل من العسير صياغة استراتيجية غربية مشتركة حول امن الطاقة والدفاع الصاروخي. في الحقيقة، وكما لوحظ، يمكن ان يصبح الدفاع الصاروخي قضية مثيرة للخلاف أكثر بين أنقرة وواشنطن.

[1] **Tuncay Babali, ''Regional Energy Equations and Turkish Foreign Policy,'' Insight Turkey 12, no. 3 (Summer 2010): p. 165.**

كما يصب تطبيع العلاقات التركية– الأرمنية في مصلحة الولايات المتحدة. ذلك ان أرمينيا قد تتمكن من تقليص اعتمادها الاقتصادي والسياسي على روسيا وايران، ويفتح الطريق امام امكانية إشراك ارمينيا في مشاريع طاقة اقليمية رئيسة جرى اقصاؤها منها حتى الآن . وعلى الرغم من ان الآفاق الحالية لتحسن مهم في العلاقات بين تركيا وارمينيا لا تكون طيبة على وجه الخصوص، فان على واش نطن ان تشجع انقرة على المضي قُدماً في سعيها وراء ايجاد سبل لتحسين العلاقات مع آريڤان وإبقاء خطوط الاتصالات مفتوحة مع القيادة الأرمنية.

بيد ان الدعم الأميركي لتطبيع العلاقات التركية – الارمنية يحتاج ان يُكّمل على يد دفعة دبلوماسية أقوى لحل النزاع بشأن ن اغورنو – كاراباخ. فقد أخفقت مفاوضات ناغورنو – كاراباخ في التوصل الى اتفاق لتسوية النزاع وتحتاج بالحاح شديد الى إعادة التفاوض . ووصلت التشاؤمية حول عملية السلام الى مستويات خطرة تهدد بان تُفضي الى اندلاع جديد للعنف.[١]

واذا ما أُريد لأي تسوية ان تتحقق فلا بد من ان يعطي اللاعبون الدوليون الرئيسون لا سيما الرئاسة المشتركة لمجموعة مينسك * (فرنسا وروسيا والولايات المتحدة) المفاوضات الأولوية الكبرى.

---

[١] انظر

Thomas de Waal, ''Remaking the Nagorno—Karabakh Peace Process,'' Survival 52,no. 4 (August—September 2010): pp. 159—176.

*** مجموعة مينسك المنبثقة عن منظمة الامن والتعاون في اوروبا : هيأة لدى منظمة الامن والتعاون في ا وروبا تقوم بالوساطة للتسوية السلمية للنزاع الارميني الأذربيجاني حول ناغورنو كاراباخ . قرر في الاجتماع الاضافي الاول بهلسنكي لوزراء الخارجية لمجلس الامن والتعاون في اوربا في ٢٤ اذار/مارس عام ١٩٩٢ عقد مؤتمر في مينسك بغرض تسوية النزاع . كان من المتوقع ان تشارك فيه أذربيجان وارمينيا وبيلاروسيا وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا والمانيا وإيطاليا وروسيا والسويد وتركيا والولايات المتحدة الأميركية. لم ينعقد مؤتمر مينسك بسبب الاجتياح من قبل ارمينيا . وبدأت المؤسسة التي تشكلت نتيجة المساعي المستمرة لتلك الدول في الوساطة تسمى بمجموع ة مينسك . تم تأسيس مؤسسة الرؤساء الذين يتولون معاً رئاسة مجموعة مينسك بموجب القرار الصادر عن مؤتمر القمة لمجلس الامن والتعاون في اوروبا، المنعقد ببدابست للمدة من ٥ الى ٦ كانون الاول/ديسمبر عام ١٩٩٤ . وهذا يعني ان دولاً عدة ستتولى معاً رئاسة المجموعة بدلاً م ن بلد واحد . ان البلاد الأولى التي تولت معاً رئاسة المجموعة كانت روسيا والسويد وفيما بعد روسيا وفلندا . تترأس الولايات المتحدة الأميركية وروسيا وفرنسا معا مجموعة مينسك منذ سنة ١٩٩٧. ان الحلين المباشر والمرحلي اللذين هما من حلول التسوية الثلاثة المقدمة من قبل مجموعة مينسك للطرفين والمنشورة في الصحافة تم رفض كليهما من قبل**

وستتطلب أية تسوية ثابتة دعماً من الشعبين الأرمني والاذربيجاني ومنهم القرباخيين. ولا ريب في ان الافتقار الى عملية تسوية تشمل المجتمع المدني لا سيما المجتمعين القرباخيين (الارمني والاذري)، يكون نقطة ضعف بارزة . وكما قال توماس دي وول (Thomas de Waal)، أحد أفضل الخبراء المتخصصين في منطقة القوقاز، انه ما دام يُقصى القرباخيون (الارمن والاذريون) من المفاوضات، فانهم سيعدون عملية السلام وكأنها تهدف للعمل ضدهم بدلاً من العمل لأجلهم.[1] وعليه، فان إيجاد سبل لشمول القرباخيين في عملية السلام – ربما شمولهم في عملية ذات مسارين– يمكن ان تكون خطوة اولى مهمة في تمهيد الطريق امام شمولهم المباشر والنهائي في المفاوضات.

في الوقت عينه، تحتاج واشن طن إعادة طمأنة باكو بان مصالحها لن تُهمل. ذلك ان أي تقارب بين تركيا وارمينيا بطريقة تُبعد اذربيجان وتقود باكو الى احضان موسكو سيخلق شعوراً استراتيجياً ضعيفاً وربما يقوض الجهود لدعم امن الطاقة أكبر في منطقة بحر قزوين . فلا مراء في ان الدعم والمشاركة الاذربيج انية تكون حاسمة لتطوير ممر الطاقة الجنوبي . ودون الغاز الاذربيجاني، من غير المرجح ان يكون خط انابيب نابكو قابلاً للتطبيق تجارياً.

كما تقدم اذربيجان طريق مرور مهم لأمداد القوات الأميركية والناتو في افغانستان. ففي العام الفائت، مرت معظم تلك القوات عبر اذربي جان للوصول الى منطقة الحرب أو مغادرتها. وسينال الطيران عبر الأجواء الاذربيجانية والوصول الى منشآتها أهمية أكبر في المستقبل نظراً لعدم الاستقرار السياسي في قيرغيستان وعدم اليقين بشأن اذا ما ستكون الولايات المتحدة قادرة على الاستمرار في استخدام القاعدة الجوية القرغيستانية في منس لنقل القوات والامدادات الى افغانستان.

ارمينيا والاخير منها من قبل اذربيجان. لم تقبل اذربيجان الطريقة الثالثة المقدمة للتسوية على اساس مبدأ يدعى شرطيا "الدولة المشتركة" بما انها تعارض سيادة البلد ووحدة أراضيها. وتستمر محاولات الوساطة التي تبذلها مجموعة مينسك في إطار الاجتماعات مع الطرفين واجراء المناقشات وتنظيم اللقاءات بين رؤساء الدولتين أذربيجان وأرمينيا . (المترجمة نقلاً عن موقع مكتبة حيدر علييف على الانترنت)

[1] المصدر نفسه، ص ١٧٢. (أي المصدر السابق الذي اشار اليه الكاتب وليس المترجمة)

عليه، لدى الولايات المتحدة أسباباً أستراتيجية واقتصادية قوية للاحتفاظ بعلاقات طيبة مع اذربيجان . ولعل توسيعاً للعلاقة يُلاقي ترحيباً من القيادة الاذربيجانية التي تريد لاذربيجان ان تكون أكثر من مج رد طريق مرور للقوات والمُعدات الأميركية الى افغانستان . وساهمت الزيارات رفيعة المستوى التي قام بها كل من وزير الدفاع روبرت غيتس ووزيرة الخارجية هيلاري كلينتون في العام ٢٠١٠ في تحسين العلاقات، ولكن المطلوب ان يتم الكثير لتعزيز الروابط مع باكو . إذ ينبغي على ا لولايات المتحدة ان توضح بان أي محاولة لإعادة اخذ ناغورنو– كاراباخ بالقوة ستُعرّض الروابط الافضل مع الولايات المتحدة للخطر.

أخيراً، سيحتاج صُناع السياسة الأميركان الى إدارة قضية إبادة الأرمن بحذر. فالقرار المقدم في الكونغرس الأميركي في العام ٢٠١٠ يكون قضيةٍ حساسة حساسيةً عالية في السياستين المحليتين التركية والاذربيجانية . فاذا ما أُسيئت إدارتها فان لقضية الإبادة إمكانية ان تُلحق ضرراً خطيراً بالعلاقات الثنائية مع انقرة. بل من المحتمل ان تؤول الى مسعى لأسدال الستار على الوصول الى قاعدة انسيرليك الجوية التي تـمثل نقطة محورية مهمة لنقل القوات والمُعدات الأميركية من أجل الحرب في افغانستان.

واقرت لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأميركي القرار بهامش صوت واحد في اوائل اذار /مارس ٢٠١٠. وأثار إخفاق إدارة اوباما في السعي سعياً فاعلاً من أجل اعتراض تمرير القرار حتى ال لحظة الاخيرة، خلافاً دبلوماسياً كبيراً مع حكومة اوردغان التي استدعت سفيرها لتأكيد استيائها من سلبية الادارة . وبعد تصويت اللجنة، عملت الادارة على اقناع قيادة الكونغرس عدم طرح القرار للتصويت على الكونغرس باكمله.

ولكن للقضية عواقبها، اذ ان تصويت تركيا ضد عقو بات الامم المتحدة على ايران في حزيران/يونيو ٢٠١٠، وهجماتها على إسرائيل قد أصاب بالضرر دعم الكغونجرس لتركيا. وراح عددٌ من اعضاء الكونغرس الأميركي الداعمين لتركيا مثل مايك بينس (Mike Pence) يحذرون من انه ستكون ثمة تكاليف على تركيا دفعها

اذا ما استمرت بتقوية علاقاتها مع ايران وانتهجت سياسة معادية إزاء إسرائيل .[1]ولعل دعماً أقوى لقرار إبادة الأرمن احد هذه االعواقب . فضلاً عن ذلك، ومع التحول الحاد في العلاقات التركية– الاسرائيلية، لم تعد تركيا تستطيع ان تعول على دعم اللوبي الاسرائيلي الفاعل داخل الكونغرس الأميركي، الذي كان في الماضي يؤيد تركيا، ويؤثر على الاخرين ضد القرار.

عليه، تحتاج إدارة اوباما الى اتخاذ منهج فاعل إزاء منع تمرير قرار الإبادة اكثر مما فعلت في أذار /مارس ٢٠١٠. وسيحتم عليها التأثير في الآخرين للحصول على دعم الكثيرين من أعضاء الكونغرس المنتخبين حديثاً وجلهم من الجمهوريين . وبطريقة اخرى، يمكن المصادقة على القرار الامر الذي يعزز شأن أزمة مؤداها ضرر بليغ يلحق بالعلاقلات الأميركية – التركية.

في الوقت عينه، ينبغي تشجيع تركيا على معالجة احداث عام ١٩١٥ بصراحة أكبر وعلى الفور مثلما بدأت تفعل ذلك في السنوات الأ خيرة. مثل هذا المسعى قد تكون له دلالة مهمة على النضج السياسي لتركيا . وربما يعزز صورة تركيا على الصعيد الدولي بالطريقة نفسها التي عمل فيها استعداد المانية لمواجهة مسؤوليتها التاريخية عن الجرائم النازية على زيادة مكانتها الدولية بعد الحرب العالمية الثانية. ولا ريب في ان تمرير قرار الإبادة قد يشعل فتيل حركة ارتجاعية قومية عنيفة قد تثبط هذه العملية.

قصارى القول، ان على الولايات المتحدة ان تتعامل مع تركيا "جديدة" – أكثر ثقة بنفسها، وأكثر استقلالاً، وأكثر حزماً في تعريف مصالحها والدفاع عنها – وليس تركيا الحرب الهاردة الأكثر تكيفاً . وليست تركيا الجديدة هذه زيفاً زائلاً مرتبطاً بحزبٍ معين في السلطة. بل تعكس تغيراً بنيوياً أعمق في وجهة نظر تركيا ومكانتها الجيوبوليتكية، وفي طبيعة العلاقة الأميركية – التركية. وليس من المرجح ان تتغير تغيراً أساسياً اذا ما كان ثمة

[1] أنظر

Rowan Scarborough, ''Turkey's shift spurs concern on Capitol Hill,'' Washington Times, June 13, 2010, http://www.washingtontimes.com/news/2010/jun/13/turkeys-shiftspurs-concern-on-capitol-hill/.

تغيير في الحكومة في أنقرة . في الحقيقة، تبنى حزب الشعب الجمهوري (CHP)، الحزب المعارض الرئيس في تركيا مواقف حول الكثير من القضايا تكون أكثر قومية ومعاداة لأميركا مما فعل حزب العدالة والتنمية (AKP).

وهكذا، ستبقى تركيا شريكاً صعب المراس وغير سهل ولا يهم أي حزبٍ يتولى زمام السلطة فيها . لا يعني هذا ان العلاقات مع أنقرة ستكون محتومة بالتدهور. إذ ما تزال واشنطن وأنقرة تتشاطران الكثير من المصالح المشتركة . بيد ان إدارة العلاقة ستتطلب مهارة أكبر وصبراً واعترافاً بالدرجة التي تغيرت عندها كل من تركيا وطبيعة العلاقة بين واشنطن وأنقرة.